فى الطريق الذهبى

ليكن أكتوبر شهر الذكريات الظافرة ، وكما أَشَدْنَا بنصر السادس من أكتوبر فى ميدان الحرب والسلام نُشِيدُ اليوم بنصرٍ ثانٍ فى ميدان يعتبر فى عصرنا أخطر ميدانٍ للسَّبْقِ الحضارى ، ألا وهو العلم . نُشيد بما نُشِرَ فى صفحة الأهرام العلمية من اختيار العالم المصرى المهاجر لطفى بسطا ـ ضمن أربعة علماء على مستوى أمريكا ـ لينخرط فى سلك ٢٥ شخصية بارزة من القيادات السياسية والإعلامية والاقتصادية . وهو معدود من مستشارى الرئيس الأمريكى ، لنشاطه كأستاذ ورئيس قسم أمراض القلب بجامعة أوكلاهوما .

وفى فرنسا قرر المؤتمر الأوروبى الحادى عشر لأمراض القلب قبول بحثين هامين من عالمين مصريين بطب القاهرة ، هما الدكتور يحيى سعد، والدكتور محسن إبراهيم .

ومن ألمانيا الغربية وجهت الأكاديمية الأوروبية للمناعة والحساسية فى مؤتمرها الدولى الرابع عشر الدعوة إلى العالم المصرى سمير خضر ، ود. منير المهيرى ليقوما بأبحاثهما المتخصصة .

وفى بريطانيا قام العالم المصرى د. أبو بكر فراج بإجراء بحوث على مرضى العظام أثارت أشد الاهتمام فى مجال اختصاصها .

تلك انتصارات علمية ، وهى ليست الأولى من نوعها ، وهى مقدمات لعصر من النور والابتكار والاكتشاف نرجو أن تتوالى أنباؤه من القاهرة والعواصم العربية ، كما تهل علينا من الخارج مُكَلَّلَة بالعِزَّةِ والتفوق .

والبحث العلمى لايعرف الحدود ، ولا يطيق القيود ، وينزع دائماً نحو الإنسانية الشاملة ، ولكن الظروف الحرجة التى يمر بها العالم الثالث توجب التركيز على مشكلاته الإنتاجية والعمرانية ، فلا بأس أن نركز البحث على حل ما يعترض نهضتنا من عقبات ، وأن يسهم بكل قوته فى التنمية الشاملة . كان يجب أن نكون المركز الأول لتخريج الباحثين فى الزراعة والرى وغزو الصحراء ، وأمراضنا المستوطنة ، ولكن حسبنا الآن أن البحث العلمى أصبح يُعَدُّ فى مقدمة همومنا الذهنية ، وأهدافنا الحضارية ، وموضع الرعاية والعناية .

(١٩٨٩/١٠/١٢)

نوبـــل ١٩٨٩

فاز السنيور كاميلو خوسيه ثيلا بجائزة نوبل هذا العام . تقول وكالة الأنباء الأسبانية : إنه ولد فى مدينة « إيريا فلافيا» فى ١١ / ٥ / ١٩١٦ من أب أسبانى وأم إنجليزية . وقد ظل معظم حياته محترفاً للعسكرية ، ومصارعاً للثيران ورساماً وممثلاً سينمائياً . وفى مطلع شبابه التحق بكلية الطب ، ودرس الفلسفة ، والحقوق ، ولكنه لم يستكمل دراسته بسبب وقوع الحرب الأهلية ، وهَوَى منذ صغره الدراسات الأدبية ، وخاض تجارب فى الشعر والقصة والمسرح ، وكانت أولى قصصه عائلة بسكو يلدوارات ، وتعد فى مقدمة الأعمال الروائية الأسبانية ، وترجمت إلى عشرين لغة . وامتاز بنشاطه الواسع فى إلقاء المحاضرات فى جامعات أوروبا وأمريكا ، كما اشتغل بالتدريس فى جامعات كثيرة ، وحَظِىَ بعضوية جمعيات علمية وأدبية متعددة .

وواجب علينا أن ننوه فى هذا المقال باهتمام أسبانيا بالأدب العربى ، وإقبالها على ترجمة العديد من آثاره منذ ربع قرن ، وزيادة نشاطها فى هذا المجال بعد حصول مصر على جائزة نوبل فى العام الماضى .

وأقل ما يُنتظر منا لقاء ذلك أن تهتم مراكزنا الإعلامية والأدبية بالأديب الفائز ، وأن تجرى معه لقاءات تعريفية ، وأن يقدم المختصون دراسات عن أدبه ، بل يجب أن تُتَرجم أعماله إلى العربية ، كما ترجمت إلى

عشرين لغة من قبل . وهذا الكلام يُوَجَّه أول ما يُوجَّه إلى الدكتور سمير سرحان ، ليضيف إلى خدماته المتواصلة للكتاب خدمة جديدة تجمع بين الفن والوفاء .

ذلك ما كان ينبغى لنا الاهتمام به حيال جميع الفائزين بجائزة نوبل ، وغيرهم من الفائزين بالجوائز الإقليمية الهامة فى فرنسا وإنجلترا والولايات المتحدة ، ولو فعلنا ذلك لكان لنا اليوم مكتبة من الآثار الأدبية الرفيعة تُقدم لشبابنا الاستنارة والمتعة ، وتحفز المبدعين فى إبداعهم وجلاء أصالتهم . ولن يخيب رجاؤنا عند حاملى أمانة الثقافة .

(٩ / ١١ / ١٩٨٩)

زوبعة فى فنجان العرب

ما هذا الذى يحدث فوق أرض العرب ؟ مرة نسمع من بعض العائدين من العمل فى البلاد العربية الشقيقة عَمَّا يُلاَقونَه أحياناً من سوءٍ فى المعاملة ، ورداءة فى المشاعر ، ومرةُ يباغتنا عنفٌ غير متوقع ، كماجرى فى الجزائر ومصر فى أثناء المباراة الكروية ، وأخيرًا رُوِّعْناَ بجثث المصريين تُحمَلُ إلينا من العراق بالعشرات والمئات .

ويتأملُ المُتَأَمِّلُ ، يتذكرُ الأَمَلَ المتجدد فى التعاون والتكامل والإخوَّة ، فتأخذة رعدة : هل نحلم أحلام يقظة لاترتكز على أساس من الواقع ؟!

هل نبنى قصورًا من الرمال على شَفا جُرفٍ هَارٍ ؟

الحق فى نظرى أنه لا يجوز أن نتهاون ، كما لا يحق لنا أنْ نُغَالى . . لا يجوز أن نتهاون فى الأخطاء ، سواء صدرت عن إهمال فى الداخل أو تجاوزاتٍ فى الخارج ، حِفَاظًا على الكرامة ، ومحافظة على أرواح أبنائنا ، بل ودفاعاً عن المصالح العربية العليا .

ولا يحق لنا أن نغالى فنجاوز القصد ، أو نهز أركان سياستنا العامة ، أو نحيد عن أهدافنا الثابتة .

ومن الخير والعقل أن نقيم علاقاتنا مع إخواننا على أرض الواقع ،

بعيدًا عن المثاليات الشاعرية ، أرض الواقع بما يحمل من متناقضات ونقائص وسلبيات لا تخلو منها طبيعة بشرية . عندما تقضى المصالح العليا وإرادة الحياة الواعية بالتوجُّه نحو التكامل والتعاون والإخوَّة ، فعلينا جميعاً ـ كعرب ـ أن نتوجه نحو تلك الحياة المنشودة بدون أن نتوقع أن يُغَيِّرَ ذلك من الطبيعة البشرية ، فنمحو بضربة واحدة من النفوس ما جُبِلَتْ عليه من أنانية ، وسوء ظن ، ومنافسة ، وجميع ما ينتج عن العمل فى ميدان واحد .

وما حدث للمصريين فى الخارج يحدث مثله أحياناً فى مصر فيما بين الأفراد والطبقات والانتماءات من غير أن يطعن ذلك وَحْدَةَ الأمة ومصيرها العام ، بل هو ما قد يحدث بين أبناء الأسرة الواحدة من إخوة وأخوات .

إنَّ ما حدث من انحراف يجب أن نتعاون جميعًا لنقومه ، ولكن يجب أن يتم ذلك فى نطاق التكامل والتعاون والإخوة .

(٧ / ١٢ / ١٩٨٩)

آمالُنا فى العام الجديد

ها نحن نودع عامًا ونستقبل عامًا ، وفوق الخط الفاصل بين العامين تحلو المراجعة والذكر للتأمل والاعتبار . ولسنا للأسف ممن يسجلون الأحداث حالَ وقوعها ، فيعتمدون على الإحصاء والتقصى ، ولكن يبقى لهم الانطباع العفوى بما يحمل من دلالة . وما من شك فى أن العام المنطوى كان عاماً كريماً ومثيرًا .

فعلى المستوى العالمى شَهِدَ التقارب والتفاهم بين القِمَم ، فَبَشَّرَ بالسلام بدرجة غير مسبوقة من قبل ، كما شهد ثورة عارمة فى سبيل الحرية فَجَّرَتْهَا شعوب الكُتلة التى كرست الحكم الشمولى وقدسته ، بل إنها انبثقت بصورة مذهلة بيد القيادة الحاكمة فى رأس الكتلة ومركز قيادتها ، مؤكدة فى النهاية أنه لا عدالة بلا حرية وكرامة ، فضلاً عن توجهها نحو البناء من جديد على أسس عصرية حديثة لا يمكن تجاهلها . كذلك شهد العالم انتصارات لحقوق الإنسان تمثلث فى استمرارية الانتفاضة ،وفى استقلال ناميبيا ، وفى تولى الزنوج لمراكز قيادية هامة فى الولايات المتحدة . وثمة تقدم فى غزو الفضاء ، واحتشاد علمى لحماية البيئة ، وتغير النظرة نحو الديون ، ووجوب إيجاد حل عادل لها لصالح الأغنياء والفقراء معاً .

وعلى المستوى المحلى يبرز التوجه العربى نحو التعاون والتكامل ، ونجاح السياسة المصرية الخارجية فى المجالات العربية والإفريقية والعالمية ، والسياسة الحكيمة التى استقر عليها الرأى العربى لحل القضية الفلسطينية ، بالإضافة إلى اهتمامنا الخاص بثورة التعليم والثقافة والزراعة ، وإعادة النظر فى حياتنا الاقتصادية .

أجل ، مازال رصيدنا من السلبيات وفيرًا ، فما حدث فى لبنان هو رِدَّةٌ إلى عصور الظلام ، كذلك الانقلاب العسكرى فى السودان الذى يسبح ضد موجة الحرية العالمية .

وأملنا فى العام الجديد أن يتم إيجابيات العام الماضى بالتأكيد على السلام وحقوق الإنسان ، والاعتراف بحق الفلسطينيين ، والتقدم فى البحث العلمى ، والدفاع عن البيئة . كما نرجو أن يشهد فى وطننا نصرًا كاملاً للديمقراطية ، وحقوق الإنسان ، وسيادة القانون إلى ما نأمل من إنجازات صادقة فى المجال الاقتصادى ، والتصدى للمشكلات . فاللهم اجعله عامًا سعيدًا وفتحاً مبيناً .

(٤ / ١ / ١٩٩٠)

شهد شهر نوفمبر من العام الماضى حدثاً مُهِمًّا فى تاريخ الولايات المتحدة ، أو قُلْ فى تاريخ البشرية . شهد السود يتزعمون عُمُدِيَّةَ نيويورك وثلاثَ مُدُنٍ أخرى ، ويفوزون بحُكم ولاية فرجينيا . وقد فاز حاكم الولاية بعد تفوقه على مُنافِسِه الأبيض المُدَّعِى العام السابق للولاية التى كانت تُعَدُّ أحَدَ معاقل العنصرية فى الماضى ، والمؤيدة للعبودية والرق فى القرن الماضى ، وإبَّان فترة الحرب الأهلية . كما حَظِى عُمدة نيويورك بتأييد ثلث أصوات البيض ، بالإضافة إلى أصوات السود فى أكبر المدن الأمريكية .

إنه نصر للسود ، نصر للولايات المتحدة ، نصر للبشرية ، نصر للحضارة نجد فيه بعض العزاء ، والكثير من التشجيع فى موقفنا إزاء ما يحدث فى جنوب إفريقيا وما يحدث فى لبنان بين الطوائف والعائلات ، وما يقع ليل نهار فى الأراضى المحتلة ، بين التعصب من ناحية ، وإرادة التحرر من ناحية أخرى ، بل إنه يعزينا ويشجعنا حيال ما يقع للأحرار فى كل مكان ، وما يُمارس فى السجون والمعتقلات من جرائم تردنا إلى العصور الهمجية الدامية من تاريخ البشرية .

لقد شهد هذا القرن مبادىء ولسون ، وثورات المستعمرات ،

واستقلال الشعوب ، وثورة العدالة الاجتماعية الكبرى ، وإعلان حقوق الإنسان . وعلى كل حامل أمانة بشرية فى العالم أن يعى عصره ، ويرنو إلى هدفِ مسيرته ليتوافق معه ولا يسبح ضد تياره فى عناد وغباء . ونحن لا نتجاهل الأزمات الخانقة التى تقبض على أرواحنا ، ولا نستسلم للأحلام الوردية ، ولكن علينا أن نستمد من روح عصرنا الاتجاه والقوة ، والأمل والعزم والتصميم ، وأن ننتظر إلى الغد مستشهدين بكل نصر طيب . إنها لَمَعْرَكَةٌ لا تتوقف ، والعُقْبَى فيها للصامدين الصابرين .

(٢٥ / ١ / ١٩٩٠)

الأمة العربية تواجه الزمن

تلقى العالم العربى فى تاريخه الطويل تحديات شرسة ، من أوبئة ، ومجاعات ، وغزوات همجية ، واستعمار شامل لأراضيه ، واكتشافات جغرافية اقتلعت جذور اقتصاده ، وبرغم الخسائر الفادحة فى الأرواح والحضارة فقد صمد للتحديات ، واستمسك بوجوده ، وها هو ذا اليوم يمارس صحوة جديدة ، ويتقدم بين شقى العناء والأمل . وهاهى ذى التغيرات العالمية على المستويين الطبيعى والسياسى تُشَكِّلُ فى طريقه تحديات جديدة ، عليه أن يفكر ويتدبر ليكتشف موقعه منها ، وأفضل السُّبُل للتعامل معها . أجل إنه لم يحل مشاكله الداخلية كما ينبغى له ، ولم يحسم بعض الخلافات بين بلدانه ، ولكن ثمة علامات لا تخطئها عين ، تدل على توجهه نحو الاتزان والواقعية فى متابعة ما يدور حوله ، وتَوَثُّبه نحو الإصلاح السياسى والاجتماعى ، وعزمه على القيام بدوره اللائق ضمن الأسرة البشرية .

العرب اليوم يتلاقون من خلال تكتلات تعاونية ، ويصدرون قرارات سيكون لها شأن فى التعمير والبناء والتقدم الحضارى . لم يعد الأمر يقتصر على الخُطَب وإطلاق الشعارات ، ولكنَّ علماءهم يدرسون ويخططون ، ومُدِيريهم يُقبلون على التنفيذ بكل هِمَّة . إنها بشائر الوحدة

الاقتصادية والثقافية والأمنية ، ولا حياة حقيقية لهذه الأمة العريقة إلاَّ بالوحدة الاقتصادية الثقافية الأمنية .

اليوم تُرْصَدُ أموالٌ للاستثمار فى بلاد العرب من خلال نظرة شاملة ، ومن منطلق قومى ، مستهدفة الدفاع عن النفس فى المجال الحضارى الإنسانى ، وترسيخ أسس نهضة شاملة تقوم على الإيمان والعلم . وقد امتدت الآمال إلى الأمة الإسلامية ، فترددت فى اجتماعاتها أصوات حكيمة داعية إلى التعاون والتكامل الاقتصادى ، مما يبشر بخير أكبر ، وتقدم أعظم . واجبنا الأَسْمَى أن نستمر . . أن نستمر بدون تردد أو وهن ، وأن نُضاعف البذل والعمل ، وأن نجود بما نملك يدًا ولساناً وقلباً ، وأن نوفر للأجيال الإيمان المضىء ، والعِلْم الخَلاَّق ، والثقافة الأصيلة ، والحضارة الزاهرة . علينا أن نقدم الوفاء للماضى بأن نجعل المستقبل أفضل منه ، برغم ما أُثِرَ عن الماضى من مجدٍ وذِكْرٍ جميل .

(١٢ / ٤ / ١٩٩٠)

لا يخلو وطن عربى من أزمة داخلية ، سياسية أو اقتصادية . وكما أن الحل يوجد فى الداخل فإن كَمَاله لا يتهيأ إلاَّ بالاستعانة بالخارج ، ذلك أننا نعيش زمنًا اختلط فيه الداخل بالخارج ، خاصة بين أوطان تشابكت جذورها وفروعها منذ قديم ، شأن الوطن الواحد كالأوطان العربية . وفى هذه اللحظة التاريخية التى تموج بالاضطراب والنُّذُر تَتَبدَّى القمة العربية كشعاعٍ للأمل ، ومنارة للمستقبل .

نرجو ـ أول ما نرجو ـ أن تنقى القمة الصدور عن الانفعالات ، وأن تُشعل مصباح العقل ، فهو خير مرشد فى العواصف الهوجاء .

نرجو أن تُوَفَّقَ إلى تصفية المتبقى من الخلافات بين بعض الأشقاء ، حتى تنجلى الدول جميعًا عن أُمَّةٍ واحدة تَوَجُّهًا وفكرًا وسياسة .

نرجو أن تؤكد رغبتها فى السلام العادل الشامل ، سلام يشمل قضايا فلسطين ، والجولان ، والنزاع العراقى الإيرانى ، وأن تعرض فى ذلك اقتراحاتها ، والسبيل السوى لتحقيقها .

نرجو أن تتبنى اقتراح تطهير الشرق الأوسط من أسلحة الدمار الشامل بمختلف أنواعها ، تأييدًا لدعوة السلام، وتجنيباً للمنطقة مِمَّا

يهددها من خراب لايعلم مداه إلا الله ، وأن تطالب العالم بتحمل مسئوليته فى هذا الشأن بالقوة والوضوح الكافيين .

نرجو أن تعلن أيضًا أن لابديل لتطهير الشرق الأوسط من أسلحة الدمار الشامل ، إلا السباق الطبيعى لإحرازها دفاعاً عن النفس ، لأننا بقدر ما نتطلع إلى سلام شامل فإننا نأبى أن نعيش تحت رحمة الآخرين .

نرجو أن تؤمن القمة ـ وهو مالا شك فيه ـ بأن تماسكنا فى هذه الفترة من الزمن هو ضرورة حياة وبقاء ، وأنَّ الزمن لا يسمح بِغَضِّ الطرف عن العواقب المتربصة بنا ، وأنَّ أى تهاون فى ذلك ينذر بخاتمة تجل عن الوصف والعزاء .

نسأل الله الهداية ونسأله التوفيق .

(١٩٩٠/٥/٢٤)

فى اعتقادى أنه لا يوجد تردد عن إدانة غزو الكويت لدى فرد من شعوب الأمة العربية ، حتى شعب العراق لا أستثنيه من ذلك الإجماع ، فالغزو جريمة جاهلية تقطع بأن التربية الإسلامية على مدى ما يقرب من خمسة عشر قرنًا لم تَكْفِ لتطهير بعض النفوس من أدران العنجهية القَبَلية ، بالإضافة إلى تناقضها الصارخ مع روح العصر وتوجهه .

ولكن هناك نغمة غريبة بدأت تعزف ـ نتيجة لذلك ـ على أوتار اليأس . . اليأس من العروبة والوحدة والتعاون ، واعتبارها أَضْغَاث أحلام ، وسحابات أوهام ، وأشباح ليل بهيم . هذه خطيئة أخرى لاتقل فى ضلالها وسوء عاقبتها عن جريمة الغزو نفسها .

انظروا إلى الوحدة الأوروبية وكيف تتم فى صبر وأناة ، وخطوة بعد خطوة ، بعد قرون من التمزق والأحقاد والحروب ، وملايين الضحايا من الأنفس ، وجبال من أطلال المدن والقرى !

الوحدة العربية رسالة مستوحاة من الواقع ، تحتمها المطالب ، ويقتضيها الوجود ، ويكرسها تحقيق الذات فى العالم الحديث ، وما يشترطه من تضامن فى الفكر والعقول والأموال لتحقيق أهداف اليوم والغد .

لقد ارتُكبت جريمة نكراء برغم إرادتنا ، وقد تُرتَكَبُ جريمة أخرى ، ولكننا لن نتخلى عن هدفنا الأسمى ، ولن نتهاون فى تحقيقه بكل وسيلة ومن أى سبيل ، وإنِ اقتصرت البداية على نواة مؤمنة ، لا كحِلْفٍ ضد أحد ، ولكن كدعوة مفتوحة ودائمة لكل من يلبى النداء عن صدق وإيمان .

قد يكون الطريق طويلاً ، شائكاً ، كثير العثرات ، وقد تُكَدِّرُ جَوَّهُ بين الحين والحين نعراتٌ جاهلية ، أو نوازع جنونية ، ولكن علينا أن نتصدى لأى انحراف بالتضامن والعقل والحكمة والحزم . علينا أن نصحح الأخطاء ، ونضمد الجراح ، ونؤيد الحق والعدل ، ولكن لا سبيل إلى التراجع أو اليأس أو الهزيمة .

(١٦ / ٨ / ١٩٩٠)

أمانى عربية

فى هذا الكابوس الخانق ، وبين أطلال الخسائر المادية الباهظة التى لم يسلم منها وطن عربى ، وعلى مرمى من المصائب التى نزلت بالآمنين من المصريين والأجانب ، فى ذلك الظلام لايكف العقل عن التفكير، ولا القلب عن الحسرة ، ولكن الخيال يلتقط لحظات من الراحة يهيم فيها فى وادى الأمانى ، تُرَى ما هى الأمانى التى يحوم حولها الخيال ؟

١ ـ أن ينتصر الرئيس العراقى على جبروته الاستبدادى ويرجع ظافرًا إلى الحق ، وهو رجوع أشرف من تراجُعِهِ أمام إيران ، وفيه إنقاذ لأُمَّته العربية ، وتاريخه الوطنى .

٢ ـ أن تعود الكويت إلى وجودها الشرعى ، وتسترد سيادتها وحقوقها وما نُهِبَ من أموالها ، فتضمد جراحها وتستأنف مسيرتها الكريمة .

٣ ـ أن يخرج العراق من الأزمة سليماً بغير سوء ، آمنًا على سُكانه وهياكله ومؤسساته ، فهو قوة عربية ، وعزة قومية ، ونحن نحرص على سلامته حرصنا على سلامتنا .

٤ ـ أن تسلم القضية الفلسطينية من الأذى ، وأن ترجع إلى احتلال بؤرة الاهتمام والرعاية فى قلوب الأمة العربية ، بوصفها قضية العرب الأولى .

حقًّا إنها أمَانِيُّ كالحلم ، ولكن بتحقيقها يطمئن العالم على مصالحه، ويلتفت العرب إلى تعويض خسائرهم ، ويتجنبون مصيرًا لا يعلم مدى شدته إلاَّ الله .

إنه حُلم غير مستحيل إذا استمع حاكم العراق إلى صوت العقل ، وتذَكَّرَ الدروس القريبة والبعيدة ، وفكر كما ينبغى للرجال المسئولين حقًّا عن أوطانهم ، والمتطلعين إلى منزلة فى التاريخ تُذْكَرُ لهم فى صفحاته البيضاء .

(١٩٩٠ / ٨ / ٢٣)

ارتفع الرئيس حسنى مبارك فى غمار الأزمة العربية الراهنة إلى ذروة من الحكمة الحضارية ، خليقة حقًّا بالحاكم المصرى الأصيل ، المؤيد من الله بالعقل الحكيم فى الجسم السليم ، كان خير مُعَبِّرٍ عن صوت مصر ، وحضارة مصر ، وعراقة مصر ، منذ أشرقَ فجر الضمير بأرضها المباركة ، وبَيَّنَ الخَيْرَ من الشر ، وتَحَدَّدَ الجزاء العادل فى الدنيا والآخِرة .

وقد أسعدنا إصراره على السعى إلى السلام ، وتجنيب الأمة العربية ويلات الحرب ، ونحن ندعو له بالتوفيق ، كما ندعو لكل مَنْ يُؤازره فى دعْوته من العرب والأجانب ، ولكنا لن نسعد بالسلام إذا جاء ـ لا سمح الله ـ على حساب القيم ، لذلك يجب أن يكون هدفنا الأول هو إزالة آثار العدوان ، وعودة الكويت إلى وجودها الشرعى ودورها العربى ، ورجوع العراق إلى الحق والشرعية وسيادة القانون ، واحترام حقوق الإنسان فى ظل الجامعة العربية وهيئة الأمم .

ولعله من الصواب أن نعترف بأن الأزمة لم تكن شَرًّا خالصاً ، فقد كشفت عن حقائق عن أشقائنا العرب كان لابد أن تُعْرَفَ لتستقيم العلاقات بينهم فى وضوح وجلاء . . كشفت عن فلسفاتهم فى الحياة ، فإنهم وإن اتفقوا فى الغايات البعيدة من التحرر والنهضة فإنهم يختلفون

فى المنهج ، منهم من يحرص على نقاء الوسيلة والغاية ، ومنهم من يؤمن بأن الغاية تبرر الوسيلة .

فعلينا أن نتكتل مع الفريق الأول لنقيم معه الأساس الأخلاقى للعروبة ، وأن نحاول بمختلف الوسائل المشروعة تطهير الفريق الآخر من رواسب قرون مضت وانقضت إلى غيررجعة بإذن الله .

ولنتساءل بلهفة : متى نخرج من ظُلمات الأزمة ؟ متى نواصل السير؟ متى نتفرغ لهدفنا الحقيقى ، وهو القيام بدور جدير بنا فى هذا العصر؟

(١٩٩٠ / ٨ / ٣٠)

قرر الرئيس صدام حسين أن يحول الأجانب العاملين فى العراق والكويت إلى رهائن يحتمى بها من الضربات التى يتوقعها ، من العبث أن نقول إنه إجراء خارج على جميع القوانين الدولية والشرائع الإنسانية ، فما جدوى الكلام عن القانون والشرعية لدى رجل يتصرف فى سياسته وكأنه فى دنيا بلا قانون ولا شرائع ؟!

وليكن كيف يكون التعامل مع ذلك الموقف الشاذ ؟!

لقد ذهبت القوات الأمريكية والعربية إلى السعودية للدفاع لا للهجوم، فلن تنشب حرب إلاَّ إذا غامر الرئيس العراقى بهجوم ، وعند ذلك فلا خيار لأحد ، وإذا لم يمكن إنقاذ الرهائن فسيحل بالعراق انتقام رهيب ، سَيَنْصَبُّ أولَ ما ينصب على الأبرياء للأسف الشديد .

وإذا لم تقم حرب فالمقاطعة الاقتصادية كافية ، حتى وإنْ طالَ أمدها، علمًا بأن مجلس الأمن لم يقرر حتى كتابة هذه الأسطر الحصار ، وفضلاً عن أن المقاطعة يمكن أَلاَّ تشمل الغذاء والدواء لأسباب إنسانية، وفى فترة المقاطعة قد تُحَلُّ المشكلة داخليًّا استجابة لضغط الشعب العراقى الذى لا أتصور أنه راضٍ عن سياسة حاكمه ، كما أن القوات المُدَافِعَة ستجد المزيد من الوقت لاستكمال عَدَدِهَا وعُدَّتِهَا .

إن الرئيس العراقى يفعل ما يفعل المجرمون فى السينما من تعريض ضحاياهم لرصاص الشرطة طمعًا فى الهروب بأمان . غير أن الشرطة عادة تصنع المستحيل كى تحقق أهدافها دون التضحية بالأبرياء .

(١٩٩٠/٩/٦)

الحـــرب

قرار مجلس الأمن بفرض الحصار حول العراق فيه الكفاية لتحقيق ما نريد وما يريده العالم معنا ، وهو انسحاب الجيش العراقى من الكويت، واسترداد الكويت لوجودها الشرعى . قد تجىء النتائج بالسرعة التى نتمناها ، ولكنها ستجىء حتماً فى وقتها ، فما علينا إلاَّ أَنْ نستوصى بالصبر ونُحْكِمَ الحصار ، ووقت الانتظار لا يضيع عبثًا ، فهو فرصة مُتاحَة للساعين إلى حل المشكلة بالمبادرات والمفاوضات . . المهم عندنا أن يرجع الحق إلى أصحابه ، وأن تنتصر المبادىء ، وأن يعى الدرس كل من يفكر فى العدوان ، ويعلم فى الوقت نفسه أنه يعيش فى عالم جديد ، وأن عليه أن يعمل فى ظل مبادئه .

أما الحرب فهى شر ، وهى شر يلد شرورًا ، ولن ينجو من عواقبها المباشرة وغير المباشرة وطن عربى أو غير عربى ، وستكون وطأتها أشد على العالم الثالث فتضاعف من معاناته .

يجب ألاَّ نفكر فى الحرب إلاَّ إذا فُرِضَتْ علينا فرضًا ، وهى لن تُفْرَضَ علينا إلاَّ إذا غامر الرئيس العراقى بحرب جديدة . وجميع القوات التى تتجمع فى منطقة الخليج تتجمع لتنفيذ قرار مجلس الأمن أو للدفاع . والمُتَابِعُ لما جرى فى مجلس الأمن لاحَظَ كيف ترددت بعض الدول طويلاً

قبل أن توافق على مزيد من التشدد فى قرار العقوبات ، مِمَّا يقطع بالتالى بأنها لا ترغب فى الحرب ولا تحبذها ، والسعىُّ إلى الحرب بدون ضرورة لا يقل فى لا إنسانيته عن الغزو الإجرامى نفسه ، أو استغلال الناس كرهائن .

وجملة القول : إننا حريصون كل الحرص على الحق والعدل والشرعية ، ولكننا لانريد الحرب إلا إذا فُرِضَتْ علينا فرضًا .

(١٠ / ٩ / ١٩٩٠)

من هم العرب ؟ .

إنهم عملاء الإمبريالية والصهيونية العالمية . لا أقول أنا ذلك ، ولم أَقُلْهُ قط ، ولكن تردده ألسنة العرب أو أقلامهم لدى الخِلاف والشقاق . وقد يحدثونك عن مؤامرات يقع قادتهم فى شباكها كأنما هم صيد سهل لكل صائد ماكر .

إنه حُكم جائر زائف ، ولا يؤيده دليل أو يقين أو وثيقة . ينطلق وينتشر بقوة الانفعال الجامح والعاطفة الهوجاء ، وفى غيبة كاملة من العقل . الحق أَنَّ العرب جميعًا يتبنون أهدافًا واحدة . إنهم يحلمون بالوحدة دون دخول فى تفاصيلها ، ويحلمون بصحوة شاملة يدخلون بها العصر الذى نعايشه باعتبارنا قوة قادرة على الاستيعاب والعطاء . وهم يتمنون أن تسندهم فى كفاحهم أموال النفط ، لا على سبيل المعونات ، ولكن عن طريق الاستثمار الذى يعود بالخير على الجميع .

وإذن فمن أين يجىء الخلاف ؟

يجىء الخلاف عند اختيار الوسيلة المؤهلة لتحقيق هذا الحلم . منهم من يؤمن بالعنف والإرهاب والحرب ، ومنهم من يلتزم بالقانون والشرعية

والحوار العقلانى ، ويرغب فى تحقيق أحلامه تحت مظلة المواثيق العربية والقوانين الدولية .

والحق أننا لا نلقى على أيدى المؤمنين بالعنف سوى المآسى والهزائم ، أما أهل الحوار والعقل فقد حرروا سيناء ، ومهدوا السبيل لحوار شامل تُحَلُّ فيه القضايا المعلقة . اليوم يقف الفريقان وجهًا لوجه ، يسعى أحدهما إلى حل عربى سلمى ، ويصرُّ الآخر على الرفض مزهوًّا بقوته وحماسه .

والحق أن الحرب تطرح عواقب وخيمة ، وهيهات أن ينجو منها أحد .

(١٣ / ٩ / ١٩٩٠)

الدروس القاسية

فى حياتنا تجارب قاسية ، تصلح دروسًا لمن يرد أن يتعلم ، فمتى نتعلم ؟ دار آمنة يقتحمها قرار من داخلها . يقذف به أحد أبنائها فى ساعة تَجَلٍّ أو ساعة نحس ، لم تناقشه أو تدلى فيه برأى ، وإذا به يجرها إلى حافة الهاوية : وقد يهدم فى ساعة ما شيدته فى سنين بالجهد والعَرق والأمل . والبلوى تكمن عادة فى زعيم مُسْتَبِدٍّ يفرض ذاته بالقوة ، ويُهيمن على أجهزة الإعلام حتى يتراءَى لنفسه وقومه كأنه فوق البشر ، ينطق عن الوحى ، ويتصرف بالإلهام ، ولا يثوب إلى رشده إلاَّ وهو فى قاع الهاوية .

متى تبرأ الأوطان العربية من ذلك الداء القاتل ؟ متى تعد بيتها للحياة فى هذا العصر ؟ متى تؤمن بالحرية واحترام حقوق الإنسان ؟

والعرب كثيرًا ما يبدون وحدة متماسكة تباركها الأحضان والقُبلات ، على حين أن قلوبهم شتى ، وأحلامهم متنافرة ، بل منهم من يود الفتك بأخيه قبل خصمه ، من أجل ذلك يجب أن تطرح خلافاتهم فى ضوء النهار ، ما تعلق منها بالحدود وما تعلق بالتاريخ . عليهم أن يعملوا على تسويتها بصفة نهائية مهما كلفهم ذلك من جهد وتضحية كى يصفُّوا جَوَّهُم مِنْ كدر الكراهية والحقد ، وكى لا نفاجىء العالم بالإزعاج

والضرر كل بضع سنين ، فَلْنُقَلِّلْ من الأحضان والقُبَل ، ولنوثق علاقات الترابط والتضامن .

ولا شك أن الأزمة الراهنه كشفت حقائق مهمة ، وعَرَّفَتْ كل وطن عربى بمن يتوافق معه بدون قيد أو شرط ، وبمن يميل إليه بتحفظ وبمن يختلف معه اختلافًا لا يُرجى معالجته فى الزمن القصير ، وعليه فيجب أن ننشىء مجلسًا تعاونيًّا من الأوطان التى يجمعنا بها الهدف والوسيلة تحت مظلة ميثاق الجامعة العربية ، وميثاق هيئة الأمم ، لنبدأ تلك الخطوة بدون تردد ، لا كحلف ضد أحد ، ولكن كأساس تقوم عليه تنميتنا الشاملة ، واقتصادنا المتكامل ، وسوقنا المشتركة ، ووحدتنا الثقافية . سوف يكون نظامًا يدعو إلى الانضمام إليه لا بالقوة ولا بالدعاية ولكن بالعمل الصالح ، والإنجاز المفيد ، ومبادىء الحرية والإنسانية .

(٢٧ / ٩ / ١٩٩٠)

يقولون ـ اعتمادًا على شواهد وأدلة ـ إن الولايات المتحدة علمت بالاستعداد لغزو الكويت قبل وقوعه بمدة كانت كافية للتحذير والتنبيه والحيلولة دون وقوعه ، وإنها تركت الأمور تجرى فى مجراها حتى وقع الغزو، فوجدت فرصة نادرة لتنفيذ سياسة جديدة هى جزء مهم فى تصورها للعالم الجديد الذى يتشكل بعد الوفاق ، وهى نقل خطوط دفاعية إلى منطقة الشرق الأوسط .

قَدَّمَ الغزو لها خدمة كبرى ، فقد هدد مخزنًا مهمًّا للطاقة ، وخرق مبدءًا أمنيًّا أصبح العالم يحرص عليه بدقة بعد توجهاته الجديدة ، واتفق العرب أنفسهم مع العالم فى ذلك ، فهبُّوا يُطالبون بانسحاب العراق ، وراحت الدولُ المُهَدَّدَةُ فى أمنها تطلب العون من جميع الأصدقاء ، هكذا انطبقت المبادىء على المصالح ، والمصالح على المبادىء ، ووجد الغرب الفرصة لتنفيذ سياسته بدون متاعب ، بل فى اتفاق تام مع أهل المنطقة ، وبدعوة من بعضهم ، فى ظل قرار عالمى استهدف الدفاع عن القانون والأمن والشرعية .

وبادر أُناس إلى الاتهام ، وقالوا : إن العالم لن يتغير ، ومازال وجهه القبيح على قبحه ، غاية مافى الأمر أن العدو يجىء هذه المرة فى ثياب صديق ! .

مهلاً لا تلوموا دولة إذا خططت لمستقبلها بما يتفق مع تصورها لعالم جديد وغَدٍ جديد ، ولكن اللوم يقع على مَنْ يسىء الفهم والتقدير ، ولا يعرف لِقَدَمِهِ قبل الخَطْوِ موضعها ، فيقدم على فعلٍ أخرق يجرُّ به نفسه وقومه إلى مأزق وعر . اللوم على المخطىء ، ولا أقول العميل أو المتآمر ، فإنى أُنَزِّه أى زعيم عن ذلك ، ولكنه الاستبداد وقصر النظر والغرور الذى يخلق من أعاجيب الأفعال مالا يتصور حدوثه إلاَّ مع الخيانة والتآمر .

الحُكم الصالح يحتاج إلى ثقافة سياسية شاملة ، ومعلومات وفيرة وحكمة رشيدة ، وحذر محيط ، وقد يتوافر ذلك فى جو الديمقراطية والانفتاح على جميع الآراء، أما حكم الفرد ، وبخاصة الفرد المُلْهَم ، فيصبّ دائمًا فى مستنقع الكوارث . . وقد نجد أنفسنا غدًا فى موقف دقيق يقتضينا جميع ما نملك من حكمة ومقدرة .

(٢٥ / ١٠ / ١٩٩٠)

إننا من دعاة الحل السلمى لأزمة الخليج ، لاكراهية فى الحرب وآثارها المدمرة فحسب ، ولا حفاظًا على شعب العراق ودوره العربى فقط ، ولكن أيضًا تحسبًا لما سيعقب حل الأزمة من حوار بيننا وبين الأمم التى تصدت لإعادة الشرعية ، فلئن نجلس للحوار بعد حل سلمى خَيْرٌ من أن نُحاور قومًا قد فقدوا عشرات الألوف من القتلى والجرحى دفاعًا عن شرعية المنطقة . فهناك بالإضافة إلى ذلك مصالح تقوم عليها حضارة ، وهناك التفكير فى نظام أمنى يمنع العواصف الدورية التى تهب من المنطقة كل بضع سنين .

وإذا كنا من دُعاة الحل السلمى فإننا فى الوقت نفسه دُعاة الشرعية والقانون والمبادىء ، فلا نقبل بحال أى تهاون مع العدوان ، أو مساس بحق الكويت فى الوجود وحق حكومتها فى العودة ، والحق العادل فى التعويضات عن الخسائر الباغية التى حاقت بالوطن الكويتى .

نريد السلام تحت شرط أن يجىء سلامًا طاهرًا من الشوائب ، مُبَرَّأً من العيوب ، سلامًا تعتز به الكرامة لا أن تُخْزَى به ، سلامًا يفرح به الأبرياء ولا يتيه به المجرمون . ولن تضيرنا المبادرات التى تمهد الطريق وتيسره ، كأن تتيح للرئيس العراقى فرصة لحفظ ماء الوجه ، بل لن يضيرنا أن ينال

تعهدًا بتأمين وطنه إذا نَفَّذَ القرار فى الحال وبلا تردد . المهم عندنا أن يسترد الشعب الكويتى جميع حقوقه المسلوبة .

وإذا خابت الحيل وفشلت المساعى وأثبت الحصار عقمه وعدم جداوه فنحن نفضل الحرب ـ على بشاعتها ـ على الهزيمة ، هزيمة الحق والعدل والقانون والشرعية والمبادىء .

إن الإنسان قادر على إصلاح الدمار ، ولكنه لا يستطيع أن يعايش حياة خالية من القانون والمبادىء .

(٢ / ١١ / ١٩٩٠)

خطوة منشودة للسلام

قرار مجلس الأمن فيما يتعلق بغزو الكويت واضح وحاسم ، وهو يقضى بانسحاب الجيش العراقى وعودة الكويت إلى وجودها الشرعى ، وعودة حكومتها الشرعية إليها ، وتنفيذًا لذلك اتخذت قرارات بالمقاطعة ، وتصاعدت فى حدتها حتى انتهت بضرب حصار شامل حول العراق .

والقرارات بتلك الصورة وتلك الوسيلة قرارات عالمية ، تعبر عن موقف مجلس الأمن ورغبة أمم العالم جميعًا .

أما القتال فالقرارات لا تتضمنه ، وجميع الدول والشعوب ترفضه ولا تغيب عنها عواقبه الوخيمة ، فنستطيع القول تبعًا لذلك : إنَّ نشوب القتال ـ إذا لم تبدأه العراق نفسها ـ فسيكون تحديًا للضمير العالمى ، مثل التراجع عن القرارات السابقة . فليس أمام القوات المحتشدة فى الخليج إلا الانتظار ، وسوف تجىء الساعة المنشودة عاجلاً أو آجلا .

ولكن يخاف البعض ـ ولهم الحق ـ أن يؤدى احتشاد الجيوش بالصورة التى هى عليها إلى اندلاع شرارة القتال بسبب أو آخر ، حتى بدون تخطيط أو تدابير ، فلماذا لا يخطو مجلس الأمن خطوة جديدة ، يفتح بها بابًا جديدًا للأمل دون المساس بقراراته السابقة ؟

أعتقد أنه يفعل الكثير إذا أصدر قرارًا جديدًا يتعهد فيه ـ فور تنفيذ قراره الأول ـ بطرح جميع مشكلات المنطقة للمفاوضة ، ومتابعتها حتى الحسم ، وهى تشمل :

١ — المشكلة العربية الإسرائيلية .

٢ ـ المشكلات العربية العربية .

٣ ـ إقامة نظام أمنى للمنطقة يتضمن فيما يتضمن تطهيرها من أسلحة الدمار الشامل .

لعل ذلك يقربنا من الحل ، ويستأصل الأسباب التى تدفع المنطقة إلى أن تكون مصدر إزعاج دورى لنفسها وللعالم كل بضع سنين .

(٥ / ١١ / ١٩٩٠)

صراع الخير والشر

فى لحظات التاريخ المتوترة تتوثب الإرادات البشرية فى عنفوانها ، وتتعاقب الحوادث المذهلة ، وتتقرر المصائر بين الخير والشر .

يتم غزو الكويت ونهبها وتشريد أهلها .

يتكتل العالم ضد العدوان ويطالب بالعودة للقانون والشرعية .

وتنبهر قلة من العرب بالقوة فتساند العدوان ، وتقف أغلبيتهم مع الحق والعدل والقانون .

تتعرض أوطان كثيرة لخسائر فادحة لدفاعها عن المبادىء الشرعية .

ويقدر موقفنا حق قدره ، فنتحرر من قروض باهظة ما كنا نتحرر منها إلا بالعناء الطويل فى الزمن المديد .

وتستوعب دول النفط الدرس فتهتدى ـ وبصورة حاسمة ـ إلى طريق السلامة ، والتوجه الاقتصادى الرشيد ، والأمن القومى العربى الحقيقى القائم على الحق والإخلاص .

ويتردد الحديث هنا وفى العالم عن المشكلات التى تهدد المنطقة بالانفجار كل بضع سنين ، وتنعقد العزائم على حلها بما يحقق السلام

الشامل ، والعدل الشامل ، سواء ما تعلق منها بما بين العرب وإسرائيل، أو بما بين العرب والعرب أنفسهم .

ويتردد الحديث أيضًا عن تطهير المنطقة من أسلحة الدمار الشامل تحقيقًا للأمن والأمان .

هكذا بدأت الحوادث باندلاع شرارة شريرة ، ما لبثت أن طوقتها الأفكار الرشيدة ، والنيات الطيبة ، فجعلت منها مدخلاً لحياة جديدة تعد على المدى الطويل بالخير والنماء .

ويمكن تلخيصها على المستوى العربى فى سطرين ، وهى أنها جاءت ثمرة :

١ ـ لتهور رئيس مستبد .

٢ ـ حكمة رئيس ديمقراطى .

وقد كنا نشفق من أن نرحل عن الدنيا ووطننا العربى مختنق فى كابوسه، ولكن شاءت العناية الإلٰهية أن تمد فى عمرنا حتى نرى الكابوس وهو يتلاشى ، موسعًا ليقظة مشرقة .

(٨ / ١١ / ١٩٩٠)

مقارنة بين الحَلَّيْن

بمرور الأيام والأسابيع تتضح حقائق فى أزمة الخليج ، وتزداد وضوحًا بالتصريحات التى يدلى بها مسئولوْن ، ولَعَلِّى لا أتجاوز الواقع إذا لخصتُ الموقف على الوجة الآتى :

١ ـ الكثرة الغالبة ترغب فى الحل السلمى ، أى تنفيذ قرار مجلس الأمن بدون قتال ، وترى فى الحصار المفروض حول العراق الكفاية ، مع الأخذ بشىء من الصبر . إنها تحترم المبادىء وتدين العدوان ، وتحرص فى الوقت نفسه على مصالحها ، ولكنها تستفظع الحرب وويلاتها ، وتريد أن تتجنب عواقبها الوخيمة على اقتصاد العالم وعلاقاته الدولية .

٢ ـ لكن بعض السياسات لا تقنع بالحل السلمى ولو أدى إلى تنفيذ قرار مجلس الأمن ، فهى لا تسمح للعراق بأن يحوز قوة تخل بالتوازن فى المنطقة ، وما يزيد الأمر صعوبة أنها أيضًا لا ترضى عن إبادة قوة العراق إبادة شاملة فتخل بالتوازن من ناحية أخرى ، فكيف يمكن أن تحقق تلك السياسات أغراضها المتضاربة ، بمعنى أن تُنَفِّذَ قرار مجلس الأمن ، وتُحَجِّمَ قوة العراق دون إبادتها ؟

فى اعتقادى أن القتال لن يحل هذه المشكلة ، فإنه إذا اندلع فلن

يتوقف إلا بالقضاء على أحد الطرفين ، والنتيجة المتوقعة فى تلك الحال هى إبادة القوة العراقية ، وانتشار الدمار فى المنطقة .

أما الحل السلمى فلن يَعْدَمَ وسيلة للموازنة بين القوى فى المنطقة عند البحث عن سياسة أمنية فى المنطقة ، وتقدير حجم القوة الرادعة والكافية للدفاع عن الأمن والاستقرار ، وبخاصة إذا اقترن ذلك بحل مشكلات المنطقة التى تهدد بالانفجارات الدورية مثل :

١ ـ المشكلة الفلسطينية .

٢ ـ مشكلة الحدود العربية .

٣ ـ مشكلة حيازة أسلحة الدمار الشامل .

(١٥ / ١١ / ١٩٩٠)